احياء التراث نظمت فقه الإحتساب

6 | alwasat.com.kw | الجمعة 25 من ربيع الأول 1441 هـ/ 22 نوفمبر 2019 – السنة الثالثة عشرة | الوسط | Friday 22th November 2019 - 13 th year | محليات

المسباح: من أهم أثاره زيادة الدين وارتفاع الجهل وحفظ المجتمع من الآفات

«إحياء التراث الإسلامي» نظمت ندوة «فقه الاحتساب وأثره في إصلاح الفرد والمجتمع»

نظمت إدارة الكلمة الطيبة بجمعية إحياء التراث الإسلامي ندوة بعنوان: (فقه الاحتساب وأثره في إصلاح الفرد والمجتمع)، حاضر فيها كل من: الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الشيخ د. ناظم المسباح، ورئيس اللجنة العلمية بجمعية إحياء التراث الشيخ د. محمد النجدي، والإمام والخطيب بوزارة الأوقاف الشيخ عبدالرحمن السليم.

وأكد الشيخ د.ناظم المسباح أن فقه الاحتساب ولاية من الولايات في نظام الدولة الإسلامية وهيكلتها إذا أقيمت كما هو مطلوب، وكما يحب الله –تبارك وتعالى–، ويحبه الرسول –صلى الله عليه وسلم–، فالحسبة لها مكانتها في هيكلة هذه الدولة التي تستظل بكتاب الله وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم.

وعن معنى الحسبة قال المسباح: الحسبة من حيث اللغة العربية لها معان عدة، وهذه اللغة العظيمة اللغة التيّ خاطب الله بها عباده (اللغة العربية) فمن معانيها: الظن كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ بمعنى لا يظن. وَكذلك من معانيها (طلب الأجر والثواب من الله) كما قال تعالى: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا...» الحديث، وكذلك من معاني الحسبة (الإنكار)، لأن الحسبة فيها إنكار المنكر على فاعله.

وأضاف، أما الحسبة من حيث الاصطلاح فهي كما عرفها الماوردي الشافعي –رحمه الله– قائلاً: هي (أمر بمعروف ظهر تركه)– مثل ترك الصلاة مع جماعة المسلمين، وغير ذلك، فإن المحتسب يقوم بالأمر بإقامة هذا الأمر، و (نهي عن منكر ظهر فعله) – مثل أن يكون هناك نوع من التبرج في النساء، فهنا أهل ولاية الحسبة ينكرون هذا المنكر الذي ظهر، وكذلك إصلاح بين الناس .

والحسبة لها جوانب مثل : الاحتساب على التجار من حيث المكاييل إذا وجد الغش، ومتابعة الباعة وطريقة الأسواق، والمارة في الطرق. فالذي لا يعطي الطريق حقه يقوم رجال المرور بإيقافه عند حده، وكذلك الذي يسرع أو يقف في مكان ممنوع. هذا من الاحتساب، وكذلك البلدية تقوم بمتابعة الكيل والميزان والبضاعة المنتهية صلاحيتها، لأن هذا من الدين ،كذلك بقية الأمور التي تظهر مثل التأخر عن صلاة الجماعة وحث الناس عليها.

وبين المسباح أن أول من رتب الحسبة ونظمها ووضع لها هذا الإطار هو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونحن أمرنا باتباع سنة الخلفاء: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين..» الحديث.

وعن التأصيل الشرعي للحسبة والدليل عليها قال المسباح: هناك آيات كثيرة من كتاب الله –تعالى–، منها قوله –تعالى–: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. والصحابة عندما استأذنوا الرَسول أن يجلسوا، قال: (إياكم والجلوس في الطرقات)؛ فالرسول نهاهم عن ذلك، طلبوا إليه فقالوا: إلى أين نذهب، قال: لا بأس بالجلوس لكن بشروط، أعطوا الطريق حقه، وحق الطريق غض البصر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك أجمعت الأمة ونقل ذلك أهل العلم على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون وفق الضوابط الشرعية من حيث الفرد كيف آمره بالمعروف وأنهاه عن المنكر، وكذلك الوالي كيف نأمره وكيف ننهاه. وعن آثار هذه الفريضة على الفرد والمجتمع قال المسباح: لا شك أن هذه الفريضة إن أقمناها ازداد الدين والتدين وارتفع الجهل، وهي سبب لحفظ المجتمع من الآفات ومن ذهاب الأمن وبقاء النعم؛ لأن النعم تدوم بالصلاح والاستقامة كما قال تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم﴾، من صحة وأمن ورزق وسخاء ورخاء ورغد، لا يغير ذلك عليهم إلى العكس، إلا إذا غيروا ما بأنفسهم. فنحن نقوم في الحقيقة بتهيئة المجتمع لجلب الرحمة من الله وجلب الأمن وإلى ما يحتاجه الإنسان؛ ولترك هذه الفريضة آثار سيئة على الفرد والمجتمع، من أهمها أنه يدب الجهل في الناس؛ لذلك من أعظم آثار هذه الفريضة ازدياد العلم وقلة الجهل؛ لأن كثيراً من الناس فيهم خير، ويحبون دينهم لكن بعضهم يقع في المعاصي بسبب الجهل.

المتحدثون خلال الندوة

بعد ذلك تحدث الشيخ د. محمد النجدي حول (مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فقال: لابد للمسلم من القيام بهذه الوظيفة، التي جعلها كثير من العلماء الركن السادس من أركان الإسلام قياماً بالحق الذي يحمله بأن يبلغه للناس، وأن يأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر. ثم بين النجدي ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: أول هذه الضوابط أن يبدأ فيه بالأولى فالأولى، فإذا أراد أن يأمر بالمعروف عليه أن ينظر إلى أعظم معروف ضيعه الناس فيبدأ به، ومثال ذلك: لو أن إنساناً رأى من يبيع ويغش في البيع، ورآه يحلف بكثرة على البيع، والغش في البيع حرام، والحلف في البيع مكروه، فإنه يبدأ بما هو حرام، فيبدأ بما حرمه الله قبل أن يتكلم عمّا هو مكروه. كذلك لو رأى إنساناً لا يصلي، أو لا يؤدي فريضة الزكاة، أو لا يصوم، ويفعل بعض المحرمات التي هي دون ترك الصلاة وترك الصيام والزكاة، فمن الخطأ أن يبدأ بما هو أقل عمّا هو أعظم وأعلى. وأضاف النجدي: ومن الضوابط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون هذا المنكر ظاهراً، أو أن يكون تضييع المعروف ظاهراً، فالأصل أن المسلم لا يتبع عورات الناس، ولا يكشف ستر أخفي عن أعين الناس، ومن الضوابط التي ذكرها أهل العلم أن يكون مرتكب النهي لا يزال يرتكب هذا الأمر المحرم، أو لا يزال يترك الفريضة فلا يحاسبه على الماضي؛ لأنه قد يكون تاب إلى الله عز وجل. ومن الضوابط أيضا في هذا الموضوع أن المسائل الخلافية والاجتهادية التي لها حظ من النظر واختلف فيها الفقهاء، سواء الأئمة الأربعة أو غيرهم ليست هي محل الإنكار . وعن الضوابط التي ذكرها أهل العلم في صفات الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر قال المحاضر : أول ما يشترط فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (العلم الشرعي، والعلم بحقيقة الأمر وواقعه وحال الإنسان). أما العلم الشرعي فهو أن يكون لديه علم بأن هذا الأمر قد حرمه الله، وأيضا العلم بحال المأمور والمنهي، يعني الإنسان الذي تأمره وتنهاه لابد أن يكون لديك علم بشيء من حاله، فالرسول صلى الله عليه وسلم لما أرسل معاذاً إلى اليمن قال له: (إنك تأتي قوماً أهل كتاب). حتى يستعد معاذ لمناظرتهم، لأن حال أهل الكتاب وعاداتهم تختلف عن عادات المشركين وعبدة الأوثان، فأهل الكتاب يؤمنون بالله واليوم الآخر والرسل والملائكة، وليسوا كالمشركين وعبدة الأصنام. وأكد النجدي على أهمية الرفق واللين، قائلاً: إذا أمرت بقسوة وشدة قد تحرم الإجابة، فالله تعالى قال لنبيه موسى عليه السلام وأخاه هارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾. وعن أهمية العدل والإنصاف في الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر قال: ينبغي أن يكون منصفاً فيما يأمره وينهاه، ولايعامل الناس جميعاً بمعيار واحد، فأهل البدع ليسوا على درجة واحدة، ففيهم الغالي والمتوسط والمتساهل، فينبغي أن يعامل كلاً على ما يستحق.

ثم ختم النجدي كلامه بالتأكيد على وجوب الصبر عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولاسيما بعد أمرك ونهيك، مبينا أن الله تعالى يقول عن لقمان الحكيم أنه أوصى ابنه فقال: ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾، فكثير من الناس إذا أمرته بمعروف أو نهيته عن منكر يغضب وربما يسبك ويعاديك، فينبغي لك الصبر على أذى الخلق لتؤجر، وأن لا تنتصر أو تغضب لنفسك، بل تحتسب هذا لله تعالى.

جانب من الحضور

المصدر: [illegible] / 1141